وقد لاح لي هنا محمل آخر أقرب أن يكون المقصود من الآية ينتظم مع ما ذكرناه هنالك في الغاية ويخالفه في الدلالة وذلك أن يكون فرعون أمر ببناء صرح لا لقصد الارتقاء إلى السماوات بل ليخلو بنفسه رياضة ليستمد الوحي من الرب الذي ادعى موسى أنه أوحى إليه إذ قال (إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) فإن الارتياض في مكان منعزل عن الناس كان من شعار الاستحياء الكهنوتي عندهم وكان فرعون يحسب نفسه أهلا لذلك لزعمه أنه ابن الآلهة وحامي الكهنة والهياكل . وإنما كان يشغله تدبير أمر المملكة فكان يكل شؤون الديانة إلى الكهنة في معابدهم فأراد قي هذه الأزمة الجدلية أن يتصدى لذلك بنفسه ليكون قوله الفصل في نفي وجود إله آخر تضليلا لدهماء أمته لأنه أراد التوطئة للإخبار بنفي إله آخر غير آلهتهم فأراد أن يتولى وسائل النفي بنفسه كما كانت لليهود محاريب للخلوة للعبادة كما تقدم عند قوله تعالى (فخرج على قومه من المحراب) وقوله (كلما دخل عليها زكريا المحراب) ومن اتخاذ الرهبان النصارى صوامع في أعالي الجبال للخلوة للتعبد ووجودها عند هذه الممم يدل على إنها موجودة عند الأمم المعاصرة لهم والسابقة عليهم .

ويطلق الطريق على السبب فيطلق بعيد مكان إلى يوصل ما والسبب سبب جمع : والأسباب A E على الحبل لأنهم كانوا يتوصلون به إلى أعلى النخيل والمراد هنا : طرق السماوات كما في قول زهير .

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... وإن يرق أسباب السماء بسلم وانتصب " أسباب السماوات " على البدل المطابق لقوله (الأسباب) . وجئ بهذا الأسلوب من الإجمال ثم التفصيل للتشويق إلى المراد بالأسباب تفخيما لشأنها وشأن عمله لأنه أمر عجيب ليورد على نفس متشوقة إلى معرفته وهي نفس (هامان) .

والاطلاع بتشديد الطاء مبالغة في الطلوع والطلوع : الظهور . والأكثر أن يكون ظهورا من ارتفاع ويعرف ذلك أو عدمه بتعدية الفعل فإن عدي بحرف " على " فهو الظهور من ارتفاع وأن عدي بحرف (إلى) فهو ظهور مطلق .

وقرأ الجمهور (فأطلع) بالرفع تفريعا على (أبلغ) كأنه قيل : أبلغ ثم اطلع وقرأه حفص عن عاصم بالنصب على جواب الترجي لمعاملة الترجي معاملة التمني وإن كان ذلك غير مشهور والبصريون ينكرونه كأنه قيل : متى بلغت اطلعت وقد تكون له ههنا نكتة وهي استعارة حرف الرجاء إلى معنى التمني على وجه الاستعارة التبعية إشارة إلى بعد ما ترجاه وجعل نصب الفعل بعده قرينه على الاستعارة .

وبين (إلى) و (إله) الجناس الناقص بحرف كما ورد مرتين في قول أبي تمام : .

يمدون من أيد عواص عواصم ... تصول بأسياف قواض قواضب وجملة (وإني لأظنه كاذبا) معترضة للاحتراس من أن يظن " هامان " وقومه أن دعوة موسى أوهنت منه يقينه بدينه وآلهته وأنه يروم أن يبحث بحث متأمل ناظر في أدلة المعرفة فحقق لهم أنه ما أراد بذلك إلا نفي ما ادعاه موسى بدليل الحس .

وجئ بحرف التوكيد المعزز بلام الابتداء لينفي عن نفسه اتهام وزيره إياه بتزلزل اعتقاده في دينه . والمعنى : إني أفعل ذلك ليظهر كذب موسى .

والظن هنا مستعمل في معنى اليقين والقطع ولذلك سمى ا عزمه هذا كيدا في قوله (وما كيد فرعون إلا في تباب) .

(وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب [37]) جملة (وكذلك زين لفرعون) عطف على جملة (وقال فرعون) لبيان حال اعتقاده وعمله بعد أن بين حال أقواله والمعنى : أنه قال قولا منبعثا عن ضلال اعتقاد ومغريا فساد الأعمال . ولهذا الاعتبار اعتبار جميع أحوال فرعون لم تفصل هذه الجملة عن التي قبلها إذ لم يقصد بها ابتداء قصة أخرى وهذا مما سموه بالتوسط بين كمالي الاتصال والانقطاع في باب الفصل والوصل من علم المعاني .

وافتتاحها ب (كذلك) كافتتاح قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) في عمله سورة البقرة أي مثل ذلك التزيين عمل فرعون زين له سوء عمله مبالغة في أن تزيين عمله له بلغ من القوة في نوعه ما لا يوجد له شبه يشبه به فمن أراد تشبيهه فليشبهه بعينه